عظة الأب جورج نخول

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

كنيسة مار الياس – زوق الخراب، الضبيه

٢٠١٦/١٠/٢

باسم الآب والابن والرّوح القدس، الاله الواحد، آمين.

يسعدنا اليوم، في الأحد الأوّل من هذا الشهر المبارك، أن نحتفل مع جماعة "أُذكرني في ملكوتك" في رعيّتنا، بالذبيحة الإلهيّة لنصلّي من أجل إخوتنا الراقدين جميعًا، من آباء وأمّهات، إخوة وأخوات.

لا بدّ لنا أوّلاً من التكلّم عن النّص الإنجيليّ الّذي قرأناه اليوم، والّذي كتبه متّى الرّسول. إنّ هذا النّص يتناول موضوع علامات مجيء الملكوت، وهو موضوع يشغل بال الكثيرين في أيّامنا، إذ إنّهم يهتمّون للأقاويل والأحاديث الّتي تتعلّق بمجيء الملكوت ونهاية العالم. إنّ الربّ يسوع المسيح قد اختصر بشخصه كلّ الحقيقة، إذ قال عن نفسه: "أنا الطريق والحقّ والحياة، مَن يتبْعني لا يمشِ في الظلام". ولكنّنا نتساءل، بعد هذا الكلام الصّادر عن الربّ يسوع، عن الحقيقة الّتي ما زال الإنسان يبحث عنها، وعن الّذي ينتظره. إنّ المسيح قد قال لنا كلّ شيء بشخصه. في كتاب التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، نقرأ بأنّ الربّ يسوع المسيح، ابن الله، قد كشف لنا عن الله الآب، بشخصه مرّة واحدة ووحيدة ونهائية. أمّا السؤال الّذي يُطرح الآن، فهو: لماذا تمكّن الابن فقط من أن يكشف لنا عن حقيقة الله الآب؟ والجواب بسيط، لأنّه مع الله الآب منذ البدء، وهو ابنه الأزليّ. إنّ النّص الإنجيليّ يضيف على كلام الربّ يسوع قائلاً: إنّه سيأتي بعد المسيح أشخاصٌ يدّعون أنّهم "المسيح المنتظر"، وبأنّهم يملكون الحقيقة، ويقومون بأعمال عظيمة خارقة، غير أنّ الإنجيل يصِفهم بالمُسحاء الدجّالين، ويدعونا إلى عدم تصديقهم. إنّه، بقدر ما نسأل ذواتنا عن نهاية العالم، بقدر ما نعي أنّ الربّ يسوع هو البداية والنّهاية: إنّ الرّب هو بداية كلّ شيءٍ ونهاية كلّ شيءٍ في هذه الحياة.

أحبائي، إنّ المرجعيّة الحقيقيّة هي الربّ يسوع، ويقول لنا نصّ الإنجيل إنّ ذلك اليوم وتلك السّاعة، لا أحد يعرفهما ولا حتّى الابن، إلّا الآب وحده، فعبثًا يحاول البعض توقّع ذلك، لأنّ الحقيقة سوف تسطع وستظهر لجميع النّاس، ولا يعود هناك من أمرٍ مخفيّ، فإنّ أعمال الربّ يسوع، الّذي هو الحقيقة الحقّة، لم تكن مخفيّة بل علنيّة، ظاهرة للجميع. أحبائي، كثيرةٌ هي الروايات والأخبار الكاذبة الّتي تدخل بيوتنا، ففي كلّ يوم، نستفيق على أخبار كاذبة تضلّل المؤمنين وتجعلنا نشعر بتهديدها لمصيرنا، وبالتالي تحاول هدم كنيسة الله، الحاضر فيها.

أحبائي، إنّ غاية يسوع المسيح هي عدم تشتيت شعب الله وعدم ضياعه، فغاية يسوع هي خلاص الشعب. يُخبرون عن إنسان كان يمشي في الصحرّاء حيث حرارة الشمس قويّة وحارقة. فما لبث أن عَطِشَ وبدأ يبحث متلهّفًا للماء، عساه يَروي ظمأه. وما إن لاحت له واحة الماء في الأفق، حتى أسرع راكضًا باتجاهها، غير أنّه لم يلبث أن اكتشف حين وصل إليها أنّها سراب، فهوى على الرّمال الحارقة، يائسًا، ومخيّب الأمل. إنّ هذا السّراب في الصّحراء يمثِّل المسحاء الدّجالين، الّذين يتكلّم عنهم إنجيل اليوم، هم الّذين يُوهِمونَك بأنّهم حاملو الخلاص والبشرى السّعيدة لك. إنّهم مخطئون، إذ ليسوا هم من تنتظرهم نفوسنا، فنحن شعبٌ لا يؤمنُ ولا يسمع إلّا كلمة الله الموجودة في الإنجيل.

إنّ الكاهن على المذبح، عليه أن يعظ بكلمة الله، الّتي منها يستمدّ قوته. إنّ الرّبّ يسوع، في الإنجيل حذّرنا من المسحاء الدجّالين، لذا علينا الحذر من الانقياد إلى أقوالهم. إنّ الربّ يسوع قد حذّرنا من أقوال أولئك، لأنّه عالِمٌ بالصعوبات الّتي تواجه المؤمن، وهو قد اختبر تلك الصعوبات بنفسه، إذ تعذَّب وتألّم، شُتِمَ وقيل عنه الافتراءات والأكاذيب. لذا فهو قد أعطانا نعمة خاصّة بالمؤمنين، يحصلون عليها في لحظة عمادهم، إذ يُمسحون بالميرون، ويحصلون على نعمة الروح القدس فيهم، فالمطلوب هو تفعيل تلك النّعمة في حياة المؤمن اليوميّة. ولكن السؤال الّذي يُطرح هو: لِمَ لا يحاول المؤمن الاستعانة بالرّوح القدس، السّاكن فيه؟ لكي يستطيع المؤمن متابعة هذه المسيرة بتيقّظ ووعي ونضوج، عليه أن يستعين بالرّوح القدس، لأنّه هو المحيي، وهو الّذي يقدّس، وهو الّذي يحيي فينا نعمة الايمان. فبقدر ما نكون لله بفعل الصّلاة، بقدر ما يدخل الروح القدس إلى أعماقنا ويغذّينا في العمق.

أحبائي، نرفع الصلّوات اليوم، على نيّتنا نحن الحاضرين هنا جميعًا، الّذين نشكّل أعضاء الكنيسة المجاهدة على الأرض، كما تُرفَع على نيّة كنيسة السّماء، الّتي تتألّف من أعزاء لنا سبقونا إلى بيت الآب، نحو ديار الرّبّ انتقلوا، وقد عاشوا بكلّ أمانة إيمانهم بالربّ يسوع، ومحبّتهم بفرح المسيح، ورجاءهم بالقيامة بثبات. إنّهم أحبّاء لنا، عبروا من هذه الدّنيا نحو الربّ يسوع المسيح؛ واجهوا، حين كانوا أحياء على هذه الأرض، الكثير من الصعوبات، وتحمّلوا المشّقات، ولكنّهم لم يتخلّوا عن إيمانهم بالله على الرغم من ذلك. أسّسوا عائلات مؤمنة وقدّموا من تعبهم في الكنائس والنشاطات الرعويّة والخيريّة والاجتماعيّة والعائليّة وغيرها، وتعهدّوا عهدًا ثابتًا أبديًّا أمام الله، بأن لا يسمعوا لصوت الشّر، وأن يعملوا كلّ عملٍ صالح وخيّر. أحبائي، فلنقدِّم الشكر على أمواتنا للربّ، إذ طبعوا في قلب كلٍّ منّا، محبّة خاصّة، وامتنانًا لما أعطوه لنا في حياتهم. الشكر للرّبّ عليهم لأنّهم انتقلوا وعبروا نحو الربّ يسوع المسيح، الّذي أحياهم حياةً أبديّةً. فطوبى لهم هؤلاء الأبرار، لأنّهم لم يسعوا ليرثوا المجد الأرضيّ، ولم يهتمّوا لصناعة الثروات وجمع الأموال، بل سعوا ليكونوا أهلاً كي يرثوا المجد السّماويّ. طوبى لهم لأنّهم كانوا أبرارًا، فهم يصلّون دون شكّ من أجلنا في المجد الأبديّ والسّماويّ. آمين.

ملاحظة: دُوِّنت العظة من قبلنا بتصرّف.